

بحار الأنوار

[188] ورابعها: أن المراد به وصف حالهم يوم القيامة فهو مثل قوله: " إذ الاغلال في أعناقهم فهم مقمحون " أراد أن أيديهم لما غلت إلى أعناقهم ورفعت الاغلال أذقانهم و رؤوسهم صعدا فهم مرفوع الرأس برفع الاغلال إياها، والمقمح: الغاض بصره بعد رفع رأسه. " وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون " (1) هذا على أحد الوجهين تشبيه لهم بمن هذه صفته في إعراضهم عن الايمان وقبول الحق، وذلك عبارة عن خذلان إياهم لما كفروا، فكأنه قال: وتركناهم مخذولين فصار ذلك

(1) قال الرضى رحمه الله: وهاتان استعارتان، ومن أوضح الأدلة على ذلك أن الكلام كله في أوصاف القوم المذمومين، وهم في أحوال الدنيا دون الآخرة، ألا ترى قوله تعالى بعد ذلك: " سواء عليهم، أأنذرتهم أم لم تنذرهم فهم لا يؤمنون " وإذا كان الكلام محمولا على أحوال الدنيا دون الآخرة وقد علمنا أن هؤلاء القوم الذين ذهب الكلام إليهم كان الناس يشاهدونهم غير مقمحين بالاغلال ولا مضروبا عليهم بالاسداد علمنا أن الكلام خرج مخرج قوله سبحانه: " ختم الله على قلوبهم " الخ فكان ذلك وصف لما كان عليه الكفار عند سماع القرآن من تنكيس الأذقان ولى الأعناق ذهابا عن الرشد، واستكبارا عن الانقياد للحق، وضيق صدورهم بما يرد عليهم من صواعق البيان وقوارع القرآن ; وقد اختلف في معنى الإقماح فقال قوم: هو غص الإبصار واستشهدوا بقول بشر بن أبي حازم في ذكر السقيفة: ونحن على جوانبها قعود. نغص الطرف كالابل القماح. وقال قوم: المقمح الرافع رأسه صعدا فكان هؤلاء المذمومين شبهوا على المبالغة في وصف تكارهم للايمان، وتضايق صدورهم لسماع القرآن بقوم عوقبوا فجذبت أعناقهم بالاغلال إلى صدورهم مضمومة إليها أيما نهم ثم رفعت ليكون ذلك أشد لايلامهم وأبلغ في عذابهم. وقيل: إن المقمح: الغاض بصره بعد رفع رأسه، فكأنه جامع بين الصفتين جميعا. وقيل: إن قوله تعالى: " فهى إلى الأذقان " يعنى به أيما نهم المجموعة بالاغلال إلى أعناقهم، فاكتفى بذكر الأعناق من الايمان، لان الاغلال تجمع بين الايمان والأعناق، وكذلك معنى السد المجعول بين أيديهم ومن خلفهم انما هو تشبيه بمن قصر خطوه، واخذت عليه طرقة، ولما كان ما يصيبهم من هذه المشاق المذكورة والأحوال المذمومة انما هو عقيب تلاوة القرآن عليهم، ونفت قوارعه في أسماعهم حسن أن يضيف سبحانه إلى نفسه فيقول: انا جعلناهم على تلك الصفات. وقد قرئ سدا بالفتح وسدا بالضم، وقيل: إن السد بالفتح ما يصنعه الناس، وبالضم: ما يصنعه الله تعالى. وقال بعضهم: المراد بذكر السد ههنا الاخبار عن خذلان إياهم وتركه نصرهم ومعونتهم، كما تقول العرب في صفة الضال

المتحير: فلان لا ينفذ في طريق يسلكه، ولا يعلم أمامه أم وراءه خير له. وأما قوله سبحانه:
" فأغشيناهم فهم لا يبصرون " فهو أيضا في معنى الختم والطبع، وواقع على الوجه الذي
يقعان عليه، وقد تقدم ايماننا إليه. _____